"الأقاصيص والنوادر Ἀνέκδοτα في كتابات مؤرخي العصر الهللينستي"

د. فكرية مصطفى صالح*

بداية لابد من التعريف بمدلول لفظ Ἀνέκδοτα في اللغة اليونانية. يقصد بهذا اللفظ كل ما هو قصصي أو مشتمل على الحكايات والنوادر. فكلمة Ἀνέκδοτον (١)تعني نادرة أو حكاية قصيرة تحمل في طياتها كل ما هو غريب أو نادر، وهي تساوي في اللاتينية كلمة Fabella, ae بمعنى القصة القصيرة، وكذلك narratiuncula, ae وهي تصغير لكلمة Fabula(٢). وقد وردت في معجم سويداس بمعنى "أشياء لا تنشر" أو "أشياء يجب عدم نشرها، وذلك عند التعليق على ما كتبه "بروكوبيوس" عن جستنيان وزوجته يثودورا (٣)وهو ما سنتطرق إليه لاحقاً في ختام هذا البحث. كما استخدمها ديودور الصقلي(٤) أيضاً بهذا المعنى.

ونحن في هذه الدراسة لا نقصد بالأقاصيص والنوادر تلك التي مصدرها الأساطير، فالكثير عالج هذه المسألة بتطويع الأسطورة لخدمة التاريخ، بل نقصد بها أقاصيص تخص مناسبات معينة قد تكون واقعية، وقد تكون من نسج كاتبها، فنعالج النادر منها وأيضاً المألوف.

احتل التاريخ مركز الصدارة في النثر الأدبي السكندري، ومع ذلك فلم يبق من كتابات مؤرخي هذا العصر سوى النذر اليسير، فبعد فتوحات الإسكندر الأكبر شهد العالم الهللينستي العديد من المؤرخين الذين لم يصل إلينا شيء من نتاجهم إلا من خلال معلومات غير مباشرة عند العديد من الكتاب اللاحقين أمثال ديودور الصقلي وسترابون وغيرهم ممن استقوا العديد من الأخبار من هؤلاء المؤرخين. وبمحاولة تجميعها ودراستها سنحاول إعطاء صورة عن ذلك

---

* د. فكرية مصطفى صالح، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية.

(١) Cf. Liddell and Scott's Greek-English Lexicon, p. 131.

(٢) Cf. Cassell's Latin- English Dictionary, pp. 237, 386.

وعن مدلول كلمة τό Ἀνέκδοτον أنظر أيضاً القاموس العربي- اليوناني ΛΕΙΚΞΙΟΝ ΑΡΑΒΟ ΕΛΛΗΝΙΚΟΝ- تأليف صموئيل كامل عبد السيد واربتميس تلاسينوس ص ٣٨٦.

(٣) Cf. Warmington, E.H. Introd. To Procopius' Anecdota, p. VIII note 2 (L.C.L)

(٤) Cf. Diod. Sic. I.4.

التيار الجديد الذي شاع في هذا العصر، وعن ماهية وأهداف كتابات هؤلاء المؤرخين.

كان التاريخ قبل الإسكندر يهتم بالنظرية والمغزى والتحليل. فكلمة ἱστορια اليونانية و Historia اللاتينية تعني في مدلولها الدقيق الفحص والبحث. لكن العديد من كتّاب ما بعد الإسكندر اهتموا في المقام الأول بكتابة السير، ولم يعد المؤرخ يهتم بالرؤية الشاملة قدر اهتمامه بتسجيل أعمال العظماء، وقدر إيراد كل ما هو غريب ونادر. وقد فضلوا أن يسلكوا درباً خاصاً بهم حتى لو كان متواضعاً.

- حفلت كتابات مؤرخي العصر الهللينستي بالعديد من الأقاصيص والنوادر Τά Ἀνέκδοτα، وقد تأثروا في هذه الخاصية بكتابات بعض ممن سبقوهم خاصة "هيرودوت"، والذي كان عليه أن يضع كل ما يريد إيراده من معلومات في هذا المجال في المتن ولا غرابة في ذلك، فلم يكن هدف "هيرودوت" رصد الأحداث السياسية أو الوقائع العسكرية فحسب بل كان على يقين من أن الملابسات التي تحيط بالناس هي التي قد تدفعهم إلى هذا الاتجاه أو ذاك، ومن ثم فلا مفر من دراسة هذه الملابسات كلما أمكن ذلك. وقد وجدنا في تاريخه فيضاً من القصص الطريفة والنوادر كما صورها من وجهة نظره وسنعرض بعضاً منها لنلقي الضوء على طريقته في هذا المجال والتي سنجد صداها عند بعض مؤرخي العصر الهللينستي. وقد رأينا أن تكون الأمثلة المستقاة في هذا المجال من أحاديثه عن "مصر"، وذلك في كتابه الثاني.

- يقول "هيرودوت" في الفقرة الخامسة والثلاثين (من الكتاب الثاني):

"والآن سأبدأ الكلام عن مصر في إسهاب μηκυνέων، لأنها دون غيرها من بلاد العالم أجمع تحوي عجائب أكثر ὁτι πλείστα θωμάσια ἐχει ... كما اختلف المصريون كل الاختلاف عن سائر الشعوب في عاداتهم وسننهم":

"Τά Πολλά Πάντα ἐμπαλιν Τοίσι ἀλλοισι ἀνθρώποισι ἐστήσαντο ἠθεά Τε καί νόμους".

- ثم يأتي ببعض ما يجده من الغرائب والعجائب فيقول:

"النساء عندهم يرتدن الأسواق ويمارسن التجارة، أما الرجال فيبقون في البيوت وينسجون"

Ἐν Τοίσι αί μέν γυναίκες ἀγοράζουσι καί καπηλεύουσι, οί δέ ἄνδρες κατ' οἴκους ἐόντες ὑφαίνουσι".

ويعلق "واديل" Waddell W.G.. على العبارة السابقة بقوله إن صور النساء وهن يرتدن الأسواق وجدت على بعض آثار المصريين وكذلك صور

الرجال وهم ينسجون. كما يرى أن قول "هيرودوت" إن النساء وحدهن كن يرتدن الأسواق ويمارسن التجارة، وأن الرجال وحدهم كانوا يقومون بعملية النسيج فيه مبالغة من جانبه، إذ أن صناعة النسيج كانت تمارسها النساء أول الأمر ثم مارسها الرجال بعد ذلك أيضاً، ويبدو أن "هيرودوت" أراد أن يوضح أن هناك تباين- خاصة فيما يتعلق بصناعة النسيج- بين المصريين والإغريق في هذا الشأن.(٥)

وقد أورد "لوكاس" في مؤلفه "المواد والصناعات عند قدماء المصريين"(٦)- على سبيل المثال- أنه قد عثر بطيبة على نموذج من الأسرة الحادية عشرة تشاهد فيه النساء وهن يقمن بعملية الغزل والنسيج. كما ذكر أن هذا النموذج معروض بالمتحف المصري (رقم ٦٠٨٤ دليل). وعلى أية حال فمن الواضح أن ما ذكره "هيرودوت" في هذا الشأن لا يحتاج إلى جهد كبير لتفنيده.

-ونرى "هيرودوت" يعرض في موضع آخر ما رآه من غرائب عند المصريين:

"يقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بهم محنة الموت يطلقون شعر الرأس واللحية، وقد كانت لديهم حتى يومئذ محلوقة":

"Αίγύπτιοι δέ ύπό τούς θανάτους άνιείσι τάς Τρίχας αϋξεσθαι Τάς Τε έν Τή Κεφαλή καί Τώ γενείω, Τέως Έξυρημενοι".(٧)

ففي الفقرة السابقة يتعجب "هيرودوت" من بعض مظاهر الحزن عند المصريين، فهم حين يحزنون يصرفهم الحزن عن الزينة فيرسلون شعورهم ويطلقون لحاهم. ولعلنا نجد بقية من مظاهر الحزن هذه في مصر في بعض الأماكن، ولكن ما يؤخذ على "هيرودوت" أنه يعمم تلك الظاهرة على كل المصريين، ويستمر "هيرودوت" في حديثه عما رآه من غرائب في مصر حين يقول: "يسكن سائر الناس في عزلة عن الحيوانات، أما المصريون فيسكنون مع حيواناتهم":

"Τοίσι μέν άλλοισι άνθρώποισι χωρίς θηρίων ή δίαιτα άποκέκριται Αίγυπτίοισι δέ όμου θηρίοισι ή δίαιτα έστί

ويعلق واديل Waddell W.G. على ما تعجب منه "هيرودوت" قائلاً: إن هذا الوضع يوجد فقط بين الطبقات الدنيا من المجتمع، سواء في مصر أو في

---

(٥) Herodotus, II. C. 25 and note on 35, p. 158. Ed. Waddell, W.G.

(٦) أنظر: ألفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين ص ٢٣٥.

(٧) Cf. Herodotus, II. 36.

غيرها من الأقطار. وقد أخذ على "هيرودوت" تعميمه أيضاً لتلك الظاهرة فيما يخص المصريين[٨].

ويستمر هيرودوت قائلاً:

"وهم يعجنون العجين بأقدامهم، فأما الطين فبالأيدي. وبها أيضاً يرفعون الروث:

Φυρωσι Τό μέν σταίς τοίσι Ποσί Τόν δέ Πηλόν Τήσι χερσί, καί Τήν κόπρον άναιρέονται".[٩]

وقد اتفق "سترابون" مع ما ذكره "هيرودوت" في العبارة السابقة فيما يخص العجن بالأقدام وكذلك العمل في الطين، مضيفاً إلى ذلك أن عملية العجن كانت تتم كذلك بالأيدي.[١٠] أما بالنسبة للروث فكان ومازال من مواد الوقود التي تستعمل في القرى حتى اليوم حيث الخشب قليل[١١].

حفظ لنا "هيرودوت" أيضاً فيضاً من الأقاصيص الطريفة ومنها -على سبيل المثال- حديثه عن الحيوانات الأليفة عند المصريين فيقول في الفقرة السادسة والستين من الكتاب الثاني:

و"الحيوانات الأليفة عندهم كثيرة وكان يمكن أن تكون اكثر من ذلك لولا ما ألم من مصائب بالقطط. فعندما تلد الإناث من القطط لا ترغب بعدئذ في معاشرة الذكور:

Έπεάν Τέκωσι αί θήλεαι, ούκέτι φοιτωσι Παρά Τούς ερσενας".

ولهذا السبب فكرت الذكور في الحيلة الآتية: تخطف الصغار من أمهاتها أو تسرقها ثم تقتلها، ولكنها لا تأكلها:

"άρπάζοντες άπό των θηλέων καί ύπαιρέομενοι τά Τέκνα κτείνουσι, κτείναντες μέντοι ού Πατέονται".

وبعد أن تحرم الإناث من صغارها ترغب في غيرها، وعلى ذلك تسعى نحو الذكور، لأن هذا الحيوان كثير الحب لصغاره:

ούτω δή άπικνέονται Παρά τούς Έρσενας. Φιλότεκνον γάρ Τό θηρίον".[١٢]

---

(٨) Cf. Waddlell, W.G., ***op. cit***, p. 159. Note on C. 36.

(٩) Herodotus, II. 36.

(١٠) Cf. Strabo, 17.2.5.

(١١) Cf. Waddell, W.G., ***op. cit***, p. 159 note on C.36.

(١٢) Cf. Herodotus, II. 66.

وفي الفقرة التاسعة والتسعين يقر "هيرودوت" أن ما قاله في الفقرات السابقة هو نتيجة لمشاهداته الخاصة وآرائه وما حققه:

Μέχρι μέν τούτου όψις τε έμή καί γνώμη καί ίστορίη ταύτα λέγουσά έστι,

وسوف يبدأ من الآن فصاعداً بعض الروايات المصرية طبقاً لما سمعه- على حد قوله- مضافاً إليها كذلك بعض ما شاهده بنفسه:

Τό δέ άπο τούδε Αίγυπτίους Έρχομαι λόγους έμέων κατά Τά ήκουον. Προσέσται δέ τι αύτοίσι καί τής έμής όψιος". (١٣)

ومن الأقاصيص التي أوردها "هيرودوت" أيضاً في هذا الصدد قصة الملك رمسيس الثالث الذي أمر بإلقاء القبض على سارق خزائنه، فلما اكتشف مقدار البراعة التي تمت بها عملية السرقة كافأ هذا اللص بأن زوجه ابنته لأنه "أذكى الناس جميعاً، إذ أنه يتفوق على المصريين كلهم، وهؤلاء يتفوقون على سائر البشر في البراعة":

ώς Πλείστα έπισταμενω άνθρώπων Αίγυπτίους μέν γάρ των άλλων προκεκρίσθαι, έκείνον δέ Αίγυπτίων". (١٤)

إذن قرر "هيرودوت" أن يسجل كل ما تقع عليه عيناه وتلتقطه أذناه بغض النظر عن مصداقية هذا أو ذاك. ومن المرجح أنه لجأ إلى استخدام مثل هذه النوادر والأقاصيص الطريفة ليجذب الناس للاستماع إليه، فهو يستطرد ليحكي شيئاً ما ربما وجد فيه ما يحقق المتعة لمستمعيه أو لأي سبب آخر. وقد تميز عالم الحكايات عند "هيرودوت" عن الحكايات الهومرية- على سبيل المثال- بأنه لا يحصر نفسه في دائرة الأبطال بل يتسع لكل صنوف البشر، وهذا النحو الذي نحاه نحو قديم ألفه قومه من قبل واتبعه أمثاله ممن جاءوا بعده.

- وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن كُتّاب التاريخ في العصر الهللينستي في هذا الصدد يمكننا أن نعطي لمحة سريعة عن أبرز كتاب حقبة الانتقال ومنهم- على سبيل المثال- ثيوبومبوس (٣٧٨ ق.م) فقد كتب مؤلفه الفيليبيات Φιλιππικά والذي يبدأ بتولي الملك "فيليب المقدوني" السلطة وينتهي بموته عام ٣٣٦ ق.م وبعض أجزاء هذا المؤلف كان يحمل عنواناً

---

(١٣) Cf. Ibid. 99.

(١٤) Cf. Ibid. 121.

- ولمزيد من الأمثلة أنظر "هيرودوت"- الكتاب الثاني فقرات ٣٧، ٨٥، ١٠٧، على سبيل المثال لا الحصر.

مميزاً مثل θαυμασια (العجائب) والذي أعطى لقسم من الجزء الثامن والجزء التاسع.

- أما في حقبة البدايات الأولى فنجد كاللیستینیس من أولنثوس Callisthenes of Olynthus الذي ولد حوالي ٣٧٠ ق.م وكان ابن أخ الفيلسوف أرسطو وتتلمذ على يديه.
- وقد اشترك كاللیستینیس في حملات الإسكندر الأكبر كمؤرخ لغزواته وشرع آنذاك في تأليف عمل نال شهرة في العالم القديم بعنوان "إنجازات الإسكندر Άλεξανδρου Πραξεις ولكن لم يقدر له إتمام هذا العمل لأنه عندما اعترض على فكرة السجود للإسكندر الأكبر Προσκύνησις بوصفه معبوداً شك الإسكندر في أنه ضالع في تدبير مؤامرة ضده، لذلك أمر بإعدامه دون محاكمة عام ٣٢٧ ق.م في باكتريا[١٥]. لكن هذا العمل اصبح فيما بعد كتاباً بعنوان "حياة الإسكندر الأكبر" بعد أن أضيفت إليه بعض الأقاصيص والنوادر ذات المغزى Άνέκδοτα ليصبح أكثر الأعمال انتشاراً في العصور القديمة[١٦]. وعلى الرغم من ذلك فقد انتقد لونجينوس في حديثه عن سمو الأسلوب- كاللیستینیس لأنه في كتاباته عن حياة الإسكندر خلط بين الحقائق التاريخية والخيال وذلك باستخدامه عبارات طنانة تتسم بالمغالاة وعدم الصدق.

"Καί τινα των καλλισθένους όντα ούχ ύψηλά άλλά μετέωρα".[١٧]

- وهناك أيضاً نيارخوس من كريت" Nearchus of Grete (٣٦٠-٣٠٠ ق.م) وهو صديق للإسكندر الأكبر وقائد أسطوله في الرحلة البحرية الاستكشافية إلى بلاد الهند وقد كتب كتاباً عن تلك البعثة البحرية ولكن فقدت

---

(١٥) Cf. Walbank, F.W., The Hellenistic world pp. 16, 38, 43.
عن مصير كاللیستینیس ذكر اريانوس" نقلاً عن أرستوبولوس Aristobulus (أحد مؤرخي الإسكندر) "إنه – أي كاللیستنیس قيد بالأغلال واقتاده قائد الحملة، وقد مات بسبب المرض:
"... δεδεμένον έν πέδαις ξυμπερίαγεσθαι τή στρατία, έπειτα νόσω τελευτήσαι".
أما بطلميوس بن لاجوس فقال إنه وضع فوق المخلعة* وظل معلقاً حتى الموت:
"στρεβλωθέντα καί κρεμασθέντα άποθανείν"
Cf. Arrian, Anabasis of Alexander, IV. 14.3-4.
* أداة تعذيب قديمة يُمط عليها الجسم.

(١٦) Cf. Albrecht Dihle, A History of Greek literature, p. 221.

(١٧) Cf. Longinus, On the sublime, 3.2.

معظم محتوياته ومع ذلك فقد عرفنا بعض فقراته من مصادر متعددة خاصة عند سترابون وكذلك "أريانوس" والذي اعتمد عليه اعتماداً كبيراً في مؤلفه عن بلاد الهند Indica. ويمكن تقسيم هذا الكتاب إلى جزئين. ويحتوي الجزء الأول على وصف للحدود الهندية والأنهار والسكان والعادات والتقاليد، كما يتضمن وصفاً للحيوانات خاصة الأفيال. أما الجزء الثاني فيصف رحلة نيارخوس إلى الوطن وسنحاول الآن الحديث عما أورده نيارخوس" من غرائب ونوادر في بلاد الهند كما أورده "اريانوس".

"قال نيارخوس" إنه لم ير هناك نمراً بل رأى جلد النمر فقط Τίγριος δορην ولكن طبقاً لما سمعه من حكايات أهل الهند فإن حجم النمر يساوي حجم الحصان الضخم، وقوته وسرعته لا تباري. وعندما يرى النمر فيلاً فإنه يثب فوق رأسه ثم يخنقه بسهولة:

"έπιπηδάν τε έπί τήν κεφαλήν τού έλέφαντος καί άγχειν εύπετέως".

وأضاف قائلاً: إن ما نشاهده من مخلوقات ونحسبها نموراً هي ابن آوي الأرقط وهو أكبر حجما من (أنواع) بن آوي الأخرى:

"ταύτας δέ, αστινας καί ήμείς όρέομεν καί Τίγριας καλέομεν, θωας είναι αίόλους καί μέζονας ήπερ τούς άλλους θωας".(١٨)

- أما عن "النمل" فيقول "ينارخوس" إنه لم ير في بلاد الهند أيا من الأنواع الذي ذكر بعض الكتاب أن تلك البلاد هي موطنها الأصلي، ولكنه رأى الكثير من جلودها δορας والتي أحضرت إلى معسكر المقدونيين:

"έπεί καί ύπέρ Των μυρμήκων λέγει Νέαρχος μύρμηκα μέν αύτός ούκ ίδέειν, όποίον δή τινα μετεξέτεροι διέγραψαν γίνεσθαι έν τή Ίνδων γή, δοράς δέ καί τούτων ίδείν πολλάς ές Τό στρατόπεδον κατακομισθείσας Τό Μακεδονικόν".(١٩)

وعن هذا النوع من الحشرات يقول "أريانوس" -نقلاً عن ميجاسثينيس Megasthenes (ازدهر حوالي ٣٠٠ ق.م)- الذي كان من مصادره الرئيسية في حديثه عن بلاد الهند وكتب عن طبوغرافيتها وعادات أهلها وديانتهم- إن هذه الحشرات عندما تقوم بعمل حفر لها في الأرض تخرج من هذه الأرض ذهباً.(٢٠) ولعلنا لا نجد في هذه العبارة السابقة شيئاً غريباً خاصة عندما نقرأ ما

---

(١٨) Cf. Arrian, Indica 15. 1-3.

(١٩) Cf. Ibid., 15.4.

(٢٠) Cf. Ibid., 15.5.

أورده هيرودوت سابقاً في كتابه الثالث في هذا الصدد فهو يقول:" يوجد في بلاد الهند النمل الصحراوي وعندما يقوم بعمل حفر له في هذه الرمال تكون تلك الرمال مليئة بالذهب":

"ή δέ ψάμμος ή άναφερομένη εστί χρυσίτις".(٢١)

- وقد يكون هذا أمراً طبيعياً، أما يدعو للدهشة ويذكره ميجاسثينيس من غرائب هو حجم هذا النمل إذ يقول:" هذا النمل والذي يكون أكبر حجما من الثعلب يحفر حفراً مناسبة لحجمه وتصبح الأرض تبريه يحصل منها الهنود على الذهب":

"Εκείνους δέ είναι γάρ άλωπεκέων μέζονας πρός λόγον τού μεγέθος σφών καί τήν γήν όρύσσειν. Τήν δέ γήν χρυσίτιν είναι, καί άπό ταύτης γινεσθαι Ινδοίσι τόν χρυσον".

ويعلق "أريانوس" على ذلك بأنه ربما سمع ميجاسثينيس" هذا الأمر الخاص بحجم النمل من شخص ما بطريقة أو بأخرى وبالتالي فقد ردد ما سمعه:

"άλλά Μεγασθένης τε άκοήν άπηγέεται"(٢٢)

وقد وردت هذه النادرة أيضاً من قبل عند "هيرودوت" عندما قال: إن النمل الصحراوي ليس بالحجم الكبير كالكلاب، ولكنه أكبر حجماً من الثعالب:

"έν δή ών τή έρημίη ταύτη καί τή ψάμμω γίνονται μύρμηκες μεγάθεα έχοντες κυνών μέν έλάσσονα άλωπέκων δέ μέζονα".(٢٣)

ويعلق جيفري هندرسون Jeffrey Henderson على تلك العبارة بقوله من الممكن أن يكون المقصود بالنمل هنا المَرْموْط (وهو حيوان من القوارض) وحتى في هذه الحالة فلا يرى أن هذا القول يجعل عبارة هيرودوت محتملة القبول.(٢٤)

- أورد "أريانوس" ما اعتبره "نيارخوس" أعجوبة "ώς δή τι θαύμα في موضع آخر من حديثه فقال: إن نيارخوس رأى من العجيب أن توجد الببغاوات في بلاد الهند كما أنه تعجب من الببغاء الذي يردد أصوات البشر:

---

(٢١) Cf. Herodotus, III. 102.

(٢٢) Cf. Arrian, Indica, 15.6-7.

(٢٣) Cf. Herodotus, III. 102.

(٢٤) Cf. Jeffrey Henderson's note 2on Herodotus', III. 102. P. 129 (L.C.I).

"σιττακούς δέ Νέαρχος μέν ώς δή τι θαύμα άπηγέεται ότι γίνονται έν τή Ίνδών γή, καί όποίος όρνις έστίν ό σιττακός, καί όπως φωνήν ϊει άνθρωπίνην".

ثم علق أريانوس على ذلك قائلاً: إنني رأيت الكثير من هذه الطيور وأعلم أن الكثير مثلي قد رأوها، لذلك فلن اعتبر هذا بالشيء الغريب أتوبو[٢٥].....

- ومن طرائف ما وصف به "نيارخوس" المظهر الخارجي للهنود قوله- كما جاء عند أريانوس: "إنهم يصبغون لحاهم بألوان مختلفة:

"Τούς δέ πώγωνας λέγει Νέαρχος ότι βάπτονται Ίνδοί, χροίην δέ άλλην καί άλλην (βάπτονται)."

فمنهم من يجعلها تبدو أكثر بياضاً (كلما أمكن ذلك):

"οί μέν ώς λευκούς φαίνεσθαι οί:ους λευκοτάτους"

والبعض الآخر يجعلها بلون أزرق داكن οί δέ κυανέους أو قرمزي Τοϊς δέ φοινικέους είναι، وبعضهم يجعلها أرجوانية Τοϊς δέ καί πορφυρέονς ، والبعض الآخر خضراء كالعشب:

άλλοις πρασοειδέας[٢٦]

وقد اعتبر "أريانوس" كلاً من نيارخوس وميجاستنيس موضع ثقة δοκίμω άνδρε فيما أورداه عن بلاد الهند[٢٧] وفي حين اعتبر "سترابون" أن كل من تصدوا للكتابة عن بلاد الهند كانوا يختلقون الروايات:

"Άπαντες μέν τοίνυν οί περί τής Ίνδικης γράψαντες ώς έπί τό πολύ ψευδολόγοι γεγόνασι,"

ومن بينهم نيارخوس وميجاستينيس"[٢٨].

- ذكر "أريانوس" أيضاً أن "نيارخوس" مر بقرية يطلق على سكانها "أكلة لحوم الأسماك" فهم يعيشون على الأسماك كمصدر أساسي لغذائهم ومن ثم كانت تسميتهم:

"ούτοι οί Ιχθυοφάγοι σιτέονται, κατ' ό τι Περ καί κληίζονται, ίχθύας",

---

(٢٥) Cf. Arrian, Indica, 15.8.

(٢٦) Cf. Ibid., 16.4.

(٢٧) Cf. Ibid. 17.6.;
Cf. Also Albrecht Dihle, A History of Greek literalure, p. 289.
,Moses. Hadas, Hellenistic culture, p. 118.

(٢٨) Cf. Strabo, Geography, 2.1.9.

والمفارقة في ذلك أنهم ليسوا بالصيادين المهرة بل يعتمدون في جلب غذائهم على عملية المد والجزر. فعندما تنحصر المياه تجتمع الأسماك في حفر قريبة من الشاطئ وعند ذلك يستخدمون شباكهم في صيدها. وهم يأكلون الأنواع الصغيرة منها بمجرد اصطيادها من البحر وهي نيئة، أما الكبير منها فيجففونه تحت أشعة الشمس ثم يقومون بسحنه ويصنعون منه طعاماً وخبزاً، والبعض الآخر يصنع منه كعكا:

"σιτέονται δέ ώμούς μέν, ό Πως άνειρύουσιν έκ τού ϋδατος, τούς άπαλωτάτους αύτών. Τούς δέ μέζονάς τε καί σκληροτέρους ύπό ήλίω αύαίνοντες, εϋτ' άν άφαυανθώσι, καταλούντες άλευρα άπ' αύτών ποιέονται καί άρτους, οί δέ μάζας έκ τούτων τών άλεύρων πέσσουσι(٢٩)

ويستمر قائلاً "إن الأغنياء منهم يبنون أكواخاً ممن يقذفه البحر من عظام الحيوانات الضخمة (الحيتان)، أما الفقراء فيبنون أكواخهم من عظام العمود الفقري للأسماك المألوفة (لدينا):

οίκία δέ πεποίηνται οί μέν εύδαιμονέστατοι αύτών όσα κήτεα έκβάλλει ή θάλασσα τούτων τά όστά έπιλεγόμενοι,... τοίσι δέ πολλοίς καί πενεστέροισιν άπό τών άκανθών τών ίχθύων τά οίκία ποιέεται(٣٠)

- كما روي "نيارخوس" قصة نجاته هو وبحارته من الحيتان الضخمة التي حولت بأحجامها الكبيرة وحركتها القوية مياه البحر إلى ما يشبه الإعصار ό Πρηστήρ (٣١)
- لدينا مؤرخ آخر عاش في الفترة ما بين عامي ٣٦٠ ق.م إلى ٣١٦ ق.م تقريبا وهو "هيرونيموس" من كارديا Hieronymus of Cardia والذي كان رفيقاً للإسكندر الأكبر، كما احتل مكانة بارزة بين من أرخو لفترة الخلفاء، وعلى الرغم من أن أعماله فقدت، إلا أنه يعتبر من المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها بعض المؤرخين اللاحقين وعلى رأسهم ديودور الصقلي، وكذلك "بلوتارخوس" خاصة عندما كتب سيرة "يومينيس" Eumenes، ذلك القائد

(٢٩) Cf Arrian, Indica, 29.7-12.
(٣٠) Cf. Ibid., 29. 16.
(٣١) Cf. Ibid., 30.1.9.

اليوناني الذي عمل سكرتيراً للإسكندر الأكبر ἀρχιγραμματεύς[٣٢] وأصبح "هيرونيموس" من أكبر مؤيدية. [٣٣]

- ولنعرض الآن مثالاً مما أورده ديودور الصقلي" نقلاً عن "هيرونيموس" والذي كان مصدره الرئيسي في الكتاب الثامن عشر. وهذا المثال خاص بيومينيس ويروي حيلة هذا القائد في التغلب على بعض الصعاب التي واجهته هو ورفاقه في إحدى الحملات التي خاضها بعد موت الإسكندر وكان بصحبته هيرونيموس. ففي إحدى هذه الحملات التي لقي فيها الهزيمة على يد اينتجونوس[٣٤] هرب إلى نورا Nora وهي إحدى القلاع الحصينة في فريجيا[٣٥] فرأى أن خيوله في حاجة إلى تدريب مستمر كي لا تفقد قدرتها على مواصلة القتال بسبب ذلك المكان المحدود المساحة وكذلك الوعر والذي أصبحت قواته محاصره فيه ففكر في تلك الحيلة لتدريبهم وذلك بأن ربط رؤوسهم بالحبال في عوارض أو أوتاد

τάς γάρ κεφαλάς αύτών ταίς σειραίς άνάδεσμεύων έκ τινων δοκίων ή παττάλων

ورفعها لمسافة معينة عن تلك العوارض والأوتاد ثم أجبرهم على أن يضربوا الأرض بمساعدة أرجلهم الخلفية ثم الأمامية. وفي تلك الأثناء حاول كل جواد أن يجد طريقة لوضع أرجله الأمامية فوق الأرض وعندئذ تصبب العرق من جسده وأرجله وازداد النشاط في جميع أعضائه وأصبح على استعداد للقيام بأية مهام صعبة وتحتاج كل جهد زائد.

"Τοίς δ' έμπροσθεν μόγις ψαύειν Τής γής μικρόν άπολείποντας εύθύς ούν ό μέν ϊππος βουλόμενος στηρίζεσθαι τοίς έμπροσθίοις διεπονείτο τώ τε σώματι παντί καί τοίς σκέλεσι, συμπασχόντων άπάντων τών κατά τόν όγκον μελών."[٣٦]

وتتضح أهمية هذه الرواية في أنها نقلت عن "هيرونيموس" والذي كان مرافقاً ليومينيس في تلك الحملة- فهي بذلك رؤية شاهد عيان.

---

(٣٢) Cf. Plutarch, Eumenes, 1.2.

(٣٣) Cf. Walbank, F.W., The Hellenistic world, pp. 17-18. Cf. Also Arnaldo Momigliano, Alien wisdom, pp. 15, 63.

(٣٤) عن الصراع بين يومينيس وانيجونوس أنظر: إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمةج١ صفحات من ٧٤- ٧٥.

(٣٥) Cf. Diod. Sic. XIX. 44.2.

(٣٦) Cf. Diodorus Sic, XVIII 42.3-5. Cf. Also Plutarch, Eumenes, XI. 3-5; Nepos, Eumenes, 5.4.6.

وفي هذا المجال أيضاً نجد "يومينيس" يلجأ إلى بعض الحيل للحفاظ على تأييد قواده في تلك المناسبة، ومنها ما أورده ديودور الصقلي أيضاً نقلاً عن هيرونيموس وتلك الحيلة هي كالآتي:

"قال يومينيس إنه رأى الملك الإسكندر وكأنه حي وفي زيه الملكي وقد اجتمع بقواده ووجه إليهم أوامره، كما لو كان يدير شئون مملكته بالفعل:

δόξαι γάρ κατά τόν ὕπνον όράν Ἀλεξανδρον τόν βασιλέα ζώντα καί τή βασιλική σκευή κεκομημένον χρηματίζειν καί τά προστάγματα διδόναι τοίς ήγεμόσι καί πάντα τά κατά τήν βασιλείαν διοικείν ένεργώς."

وقد أفلحت تلك الحيلة في تحقيق الولاء ليومينيس من جانب أتباعه العسكريين كما أقنعهم أن يعدوا عرشاً ملكياً يصنع من الذهب من الخزينة الملكية ويضعوا فوقه كل ما يتعلق بالإسكندر من تاج وصولجان وأكاليل وكافة العلامات المميزة للذات الملكية. وعند كل صباح يجتمعون (في الخيمة الملكية) بعد أن يطلقوا البخور (في حضرة الإسكندر) ويستمعون إلى أوامره كما لو كان على قيد الحياة وعلى رأس مملكته":

"δίοπερ οίμαι δείν έκ τής βασιλικής γάζης κατασκευάσαι χρυσούν θρόνον, έν ώ τεθέντος τού διαδήματος καί σκήπτρου καί στεφάνον καί τής άλλης κατασκευής έπιθύειν άμ' ήμέρα πάντος αύτώ τούς ήμεμόνας καί πλησίον τού θρόνου συνεδρεύειν καί προστάγματα λαμβάνειν έκ τού όνόματος τού βασιλέως, ώς ζώντος καί προεστηκότος τής ίδίας βασιλείας."(٣٧)

وعلى ذلك كان "يومينيس" يجتمع في الخيمة الملكية كل يوم مع أتباعه العسكريين للتشاور فيما هو صالح لإمبراطورية الإسكندر والذي أقيمت من أجله هذه الخيمة. على حد قوله –على الرغم من كونه لم يعد حياً.

Πάντας δε τούς προκεκριμένους ύπό τού πλήθους σατράπας καί στρατηγούς είς τήν βασιλικην αύλήν συνιόντας καθ'ήμέραν βουλεύεσθαι κοινή περί τών συμφερόντων." Εστατο γαρ Αλεξάνδρω τετελευτηκότι σκηνη.(٣٨).....

---

(٣٧) Diod. Sic., XVIII 60.5.
Cf. Also Plutarch, Eumenes, XIII. 3-4, Nepos, Eumenes,7.2-3; Polyaenus, 4.8.2.

(٣٨) Cf. Diod. Sic., XIX. 15.3-4.

ومن المرجح أن ما سنورده الآن عن مصير "يومينيس" قد استقاه "ديودور الصقلي" أيضاً من إشارات لأعمال "هيرونيموس من كارديا" عن تلك الواقعة وفحواها كالآتي:

"عندما شعر أنتيجونوس بمدى رغبة المقدونيين المتقدة لعقاب "يومينيس" قضى عليه بالموت

ὁρῶν δέ καί τήν τῶν Μακεδόνων ὁρμην ἀπαραίτητον οὐσαν πρός τήν κατ' Εὐμενούς τιμωρίαν ἀνείλε τόν ἀνδρα.

ولكن بسبب صداقته السابقة له فقد أحرق جسده، وبعد أن وضع عظامه في جرة (حفظ رماد الموتى) أرسلها إلى ذويه:

διά δέ τήν προγεγενημένην φιλίαν καύσας τό σώμα καί καταθέμενος είς ἀγγείον τά ὁστά πρός τούς οἰκείους ἀπέστειλεν.

وقد جُرح المؤرخ هيرونيموس من كارديا" والذي يُجله يومينيس" ثم وقع في الأسر بعد القضاء على "يومينيس" ولكنه نال العفو والثقة من جانب "أنتيجونوس" بعد ذلك:

ἀνήχθη δ'έν τοίς τραυματιαις αἰχμάλωτος καί ὁ Τάς ἱστορίας συνταξάμενος Ἱερώνυμος ὁ Καρδιανός, ὁς τόν μέν ἐμπροσθεν χρόνον ὑπ Εὐμενούς τιμώμενος διετέλεσεν, μετά δέ τόν ἐκείνου θάνατον ὑπ' Ἀντιγόνου ἐτύγχανε φιλανθρωπίας καί πίστεως (٣٩)

وعلى الرغم من اعتمادنا على ما ورد من إشارات مصدرها "هيرونيموس من كارديا من بعض الكتاب اللاحقين بما لا يجعلنا نحكم على فكرة وأسلوبه بطريقة مباشرة من خلال كتاباته الأصلية إلا أن معظم النقاد قد أثنوا على تاريخه ومعالجته للأحداث التاريخية بالدقة والموضوعية المبنية على معرفته بالكثير من مواطن الأمور ومعاينته لمواقع الأحداث، واتصاله الشخصي بالساسة صناع القرار من الملوك والحكام والقادة. وقد اعتبره "تارن" واحداً من أعظم المؤرخين الإغريق، بل إنه في رأيه يضاهي "ثوكوديديس" في تأريخه بالحملات التي اشترك فيها، وكذلك فهو موضع ثقة فيما يرويه ويورده من شخصيات حقيقية كما عايشها.(٤٠)

---

(٣٩) Cf. Ibid., XIX. 44.2-3. Cf. Also Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, p. 174.

– عن مصير "يوميتس" قال إبراهيم نصحي إنه لقي حتفه عام ٣١٦ ق.م. دون أن يأتي بالتفاصيل أنظر: إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة. ج١ ص ٧٥.

(٤٠) Cf. Tarn, W.W., Hellenistic Civilzation, p. 250.

وهناك مؤرخ آخر معاصر لهيرونيموس وهو "دوريس من ساموس" Duris of Samos والذي حكم "ساموس" لبعض الوقت. وقد عاش في الفترة من ٣٤٠- حوالي ٢٦٠ ق.م.(٤١) وهو كمعاصره هيرونيموس" لم يبق من أعماله سوى شذرات أشار إلى فحواها المؤرخون اللاحقون خاصة "ديودور الصقلي" وكذلك "بلوتارخوس". وقد تميزت إشاراته التاريخية بالإثارة ووصف النقاد كتاباته هو "وفيلارخوس" "بالكتابة التاريخية التراجيدية" Tragic historiography. وسوف نعرض بعض تلك الآراء بعد استعراض أمثلة من بقايا أعماله. ففي حديثه عن الحرب التي قامت بين الرومان من جهة مع الأتروسكيين والغاليين والسمنيين عام ٢٩٥ ق.م من جهة أخرى" ذكر دوريس" Duris أن الرومان قاموا بقتل مائة ألف رجل في قنصلية "فابيوس":

Ότι έπί τού πολέμου τών Τυρρηνών καί Γαλατών καί Σαμνιτών καί τών έτέρων συμμάχων άνηρέθησαν ύπό Ρωμαίων, Φαβίου ύπατεύοντος, δέκα μυριάδες, ώς φησι Δούρις.(٤٢)

وفي موضع آخر يقول:" في تلك الحرب ذُبح مائة ألف ممن حاربوا الرومان من الإتروسكيين والسمنيين في اليوم ذاته"(٤٣):

- ويروي "بلوتارخوس" أقصوصة ذات طابع تراجيدي نقلاً عن "دوريس" فيقول:
- "عندما أرسل الإسكندر الأكبر (قائده) نيارخوس في رحلة بحرية استكشافية طلب أموالاً من أصدقائه حيث كانت الخزينة الملكية خاوية.

ήτει χρήματα τούς φίλους. Ού γάρ ήν έν τώ βασιλείω.

فطلب من "يومينيس" أن يحضر ثلاث مائة تالنتا، ولكن هذا الأخير لم يقدم سوى مائة تالنت فقط مدعياً أنه حتى ذلك المبلغ قد تم جمعه بشق الأنفس ممن كلفهم بذلك. فلم يأخذ الإسكندر هذا المبلغ وكذلك لم يوجه إليه أي لوم ولكن أمر مُواليه أن يضرموا النار سراً في خيمة "يومينيس" ليفتضح أمره. وعندما أتت النار على الخيمة انصهر ما كان بها من ذهب وفضة واكتشف أنها (أي الذهب والفضة المنصهرة) تساوي أكثر، من ألف تالنت:

"τό δέ συγχυθέν χρυσίον καί άργύριον ύπό τού πυρός άνευρέθη πλείον ή χιλίων ταλάντων".(٤٤)

---

(٤١) Hadas, Hellenistic Culture, p. 118, 174.

(٤٢) Cf. Pausanias. 6. 13.5.

(٤٣) Cf. Diod., Sic. XXI. 6.1.

Ibid., 6.2.

- ومهما يكن من مدى مصداقية هذه الرواية أو أنها من وحي وخيال كاتبها فإنها توضح الطريقة التي كان يتبعها "دوريس" في كتاباته والتي اتسمت بالإثارة وبما يشبه العرض المسرحي التراجيدي سواء بالنسبة لأسلوبه أو القضايا التي يتناولها فأضحى تأثيره فيما يخص الكتابة التاريخية محدوداً.

ولاشك أن "دوريس" وهو تلميذ ليثوفراستوس المشائي قد تأثر بنهج هؤلاء المشائين، إذ أن ولعهم بجمع المعلومات كما هي أفضى إلى الخلط بين الحقائق والقصص دون أي تمييز بينها، إذ كان أهم ما اختص به المشاءون كتابة تاريخ حياة الأفراد والبارزين، لكن كثيراً ما شوهت هذه التواريخ بالمزج بين الحق والباطل. (٤٥)

وقد اعتبر "تارن"(٤٦) أن الطريقة التي اتبعها "درويس" في كتابة التاريخ Tragic- historiography هي نوع من أنواع التجديد، في حين أن بوليبيوس(٤٧) هاجم هذا النهج في الكتابة التاريخية، وهو ما سنوضحه الآن في الحديث عن "فيلارخوس" أيضاً.

عاش فيلارخوس الأثيني Phylarchus of Athens في الفترة من ٢٧٢ ق.م إلى حوالي ٢٢٠ ق.م وكان مؤلفه التاريخي Historiai Ιστορίαιيحتوي على ثمانية وعشرين كتاباً وغدا مصدراً رئيسياً عن هذه الحقبة الزمنية للمؤرخين في العصور التالية فأفاد منه ديودور الصقلي وبوليبيوس وبلوتارخوس. ومثل كل معاصريه كان "فيلارخوس" مولعاً بوصف العادات الغريبة وغير المألوفة وكذلك باستخدام النوادر Ανεκδοτα كما اتبع "فيلارخوس" طريقة "دوريس" في كتابة التاريخ بطريقة الإثارة أو ما يمكن أن نسميه Tragic historiography أو Pathetic shchool. (٤٨)

انتقد بوليبيوس طريقة "فيلارخوس" في الكتابة التاريخية لكونها تعتمد اعتماداً أساسياً على إثارة المشاعر، وكذلك لعدم التزام الدقة والموضوعية.

---

(٤٤) Cf. Plutarch, Eumenes, II. 2-3.

(٤٥) أنظر: إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج٤ ص ٢٥٦.

(٤٦) Cf. Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, pp. 249- 250;
Cf. Also Moses Hades, Hellenistic culture, p. 120.

(٤٧) Cf. Polybius, The Histories, II. 56.8-12.

(٤٨) Cf. Moses Hades, Hellenistic Culture, p. 120;
Walbank, F.W., The Hellenistic world, p. 18.

فعندما تحدث عن نهب الآخيين لمنتيينا عام ٢٢٣ ق.م[٤٩] ومدى معاناة أهلها نتيجة لذلك رأى "بوليبيوس" أن فيلارخوس أراد التأكيد على وحشية أنتيجونوس دوسون Antigonus Doson وكذلك على المقدونيين إلى جانب الهجوم أيضاً على "أراتوس" (زعيم الحلف الآخي) إذ قال:

"Βουλόμενος δή διασαφείν τήν ώμότητα τήν Άντιγονου καί Μακεδόνων, άμα δέ τούτοις τήν Άράτου καί τών Άχαιών, [٥٠]

هذا في الوقت الذي انحاز. فيه إلى جانب كليومينيس الثالث[٥١] ملك أسبرطة في تلك الأثناء. إذ نجد بوليبيوس يلوم فيلارخوس على الطريقة التي عالج بها هذه الحادثة فيقول:

"إن فيلارخوس –وبصفة عامة– يتحدث عن أمور كثيرة في كتاباته طبقاً لما يروق له:

"καθόλου μέν ούν ό συγγραφευς ούτος πολλά παρ' όλην τήν πραματείαν είκή καί ώς έτυχεν είρηκε[٥٢]."

ويستمر بوليبيوس قائلاً:" ولكي يثير الانتباه وكذلك الشفقة لدى مستمعيه صور النساء وشعورهن مغبرة متلبدة، وصدورهن عارية:

σπουδάζων δ' είς έλεον έκκαλείσθαι τούς άναγινώσκοντας καί συμπαθείς ποιείν τοίς λεγομένοις, είσάγει περιπλοκάς γυναικών καί κόμας διερριμμενας καί μαστών έκβολάς".

وكذلك صور رجالاً ونساءً وأطفالاً وهم يبكون وينتحبون ويساقون إلى نير العبودية.

---

(٤٩) مانتينيا Mantinea مدينة سهيلة تقع جنوب شرق أركاديا إلى الشمال من تيجيا Tegea. وقد دمرها أعضاء الحلف الآخي عام ٢٢٣ ق.م. ثم أعيد بناؤها بعد ذلك تحت اسم أنتيجونيا Atigonea.

Cf. O.C.D., S.V., Mantinea, pp. 534- 535.

(٥٠) Cf. Polybius, II. 56.3.

عن تلك الحقبة التاريخية أنظر: إبراهيم صحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج١ ص ص ١٤٠-١٤١.

(٥١) كليومينيس الثالث (٢٦٠– ٢١٩ ق.م) أصبح ملكا على أسبرطة عام ٢٣٥ ق.م. وفي عام ٢٢٩ ق.م. استولى على تيجيا ثم مانتينيا.

Cf.O.C.D., S.V., Cleomenes III, P. 201.

(٥٢) Cf. Polybius, Histories, II. 56.6.

- وقد علق بوليبيوس" على ما اعتبره سببا في لجوء "فيلارخوس" إلى تلك الطريقة في معالجة الأحداث التاريخية فقال:" أراد فيلارخوس بذلك أن يجسد الرعب أمام أعيننا، وهو ما اتبعه في كل كتاباته:

"Ποιεί δέ τούτο παρ'όλην τήν ίστορίαν, Πειρώμενος έν έκάστοις άεί πρό όφθαλμών τιθέναι τά δεινα."

ولم يخف "بوليبيوس" لومه لفيلارخوس لموقفه المنحاز لكليومينيس الثالث واصفاً معالجته لتلك القضية بالتعصب والخسة τό...άγεννές καί γυναικώδες كما نجده يؤكد على ما يجب أن يكون عليه المؤرخ في كتاباته إذ يقول:

"يجب على المؤرخ ألا يثير الرعب في نفوس من يطالعون كتاباته بتلك الأوصاف المبالغ فيها:

"δεί τοιγαρούν ούκ έκπλήττειν τόν συγγραφέα τερατευόμενον δία τής ίστορίας τούς έντυγχάνοντας"

كذلك يجب عليه ألا يكون كشاعر التراجيديا الذي يعرض كل ما يحتمل وقوعه على لسان شخصياته، بل يجب عليه أن يروي وبطريقة سلسة ما قيل وما حدث بالفعل.لأن معالجة التراجيديا تختلف عن المعالجة التاريخية، فشاعر التراجيديا لابد أن يعمل على إثارة مشاعر مستمعيه، أما المؤرخ فلابد أن ينطق بالحقيقة(٥٣) ولعل ذلك يذكرنا بأرسطو في مؤلفه "فن الشعر" Poetics الذي يتحدث فيه عن كل من الشاعر والمؤرخ فيقول: إن عمل الشاعر ليس رواية ما وقع بل ما يجوز وقوعه وما هو ممكن:

.....οτι ού τό τά γενόμενα λέγειν, τούτο ποιητού έγγον, έστίν, άλλ' οία άν γένοιτο καί τά δυνατά κατά τό είκός ή τό άναγκαίον.

فإن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بأن ما يرويانه منظوماً أو منثوراً

ό γάρ ίστορικός καί ό ποιητής ού τώ ή έμμετρα λέγειν ή άμετρα διαφέρουσιν.

فقد تصاغ أقوال هيرودوتس في أوزان فتظل تاريخاً سواء وزنت أم لم توزن:

"είή γάρ άν τά Ήροδότου είς μέτρα τεθήναι καί ούδέν ήττον άν είή ίστορία τις μετά μέτρου ή άνευ μέτρων"

بل هما يختلفان بأن أحدهما يروي ما وقع على حين أن الآخر يروي ما يجوز وقوعه:

---

(٥٣) Cf. Ibid.56.7-12.

"άλλά τούτω διαφέρει, τω τόν μέν τά γενόμενα λέγειν, τόν δέ οία άν γένοιτο"(٥٤)

انتقد "بوليبيوس" فيلارخوس كذلك لأنه يروي أحداثاً تاريخية دون بيان أسبابها وهو بذلك لا يحقق الهدف من كتاباته سواء لإثارة مشاعر مستمعيه نتيجة لموقف ما، أو تجاه شخص بعينه. (٥٥)

- كما كذّب قول فيلارخوس عن مصير كليومينيس الثالث بأنه مات وهو معلق ليلاً فوق المخلِعة(٥٦)

όν ύποχείριον γενόμενον ούκ.....τήν νύκτα στρεβλούμενον άποθανείν,

بل عذبوه حتى الموت بأن طافوا به في أنحاء البيلوبونيزكي يكون عبرة للناظرين.

"περιαγόμενον δ' είς τήν Πελοπόννησον καί μετά τιμωρίας παραδειγματιζόμενον ούτως έκλιπείν τό ζήν"(٥٧)

- كان بوليبيوس يرى أن على المؤرخ أن يلتزم الحياد في كتاباته ويتجلى ذلك في قوله.

"إن الإنسان الخير ينبغي أن يكون محباً لأصدقائه ولوطنه:

"Καί γάρ φιλόφιλον είναι δεί τόν άγαθόν άνδρα καί φιλόπατριν"

لكنه عندما يتصدى لكتابه التاريخ فعليه أن يتناسي كل مشاعره الشخصية، وإذا اقتضت الحقيقة أن يثني على أعدائه إذا ما كانوا يستحقون ذلك وبأفضل المدائح:

"όταν δέ τό τής ίστορίας ήθος άναλαμβάνη τις, έπιλαθέσθαι χρή πάντων τών τοιούτων, καί πολλάκις μέν εύλογείν καί κοσμείν τοίς μεγίστοις έπαίνοις τούς έχθρούς,"

ويلوم أصدقاءه كما يجب أن يكون اللوم إذا كان مسلكهم يتطلب ذلك:

"όταν αί πράξεις άπαιτώσι τούτο, πολλάκις δ' έλέγχειν καί ψέγειν έπονειδίστως τούς άναγκαιοτατους, όταν αί τών έπιτηδευμάτων άμαρτίαι τούθ' ύποδεικνύωσιν"(٥٨)

---

(٥٤) Cf. Aristotle, Poetics, 1451 b.

(٥٥) Cf. Polybius, II. 56.13.

(٥٦) المخلِعة: هي أداة تعذيب قديمة تشبه الترس ويمط عليها الجسم.أنظر المورد ص ٧٥٤.

(٥٧) Cf. Polylius, II. 60.7-8.

(٥٨) Cf. Ibid., I.14.4-6.

- اتفق "بلوتارخوس" مع رأى بوليبيوس القائل إن فيلارخوس يعرض تاريخه بطريقة أشبة بالتراجيديا -وذلك حين وصف لحظة موت كليومينيس الثالث ملك أسبرطة. فهاهي زوجته التي لم تستطع الاحتفاظ برباطة الجأش لما لاقته من فاجعة: كبرى:

"....Πρόύδωκε τό φρόνημα πρός τό τής συμφοράς μέγεθος,"

وقد أخذت أبناء كليومينيس بين ذراعيها واستمرت في العويل والنحيب:

"καί περιβαλούσα τά παιδία τού Κλεομένους ώλοφύρετο"

بينما قفز الابن الأكبر (ملقيا بنفسه) من أعلى المبنى فسقط على رأسه:

"άπό τού τέγους έπί κεφαλήν έρριψεν έαυτό"

وقد لحق به ضرر بالغ لكنه لم يمت. وأخذ يبكي ويصيح آسفاً على نجاته من الموت. وعندما بلغت هذه الأنباء مسامع بطلميوس[٥٩] أعطى أوامره بأن يغطي جسد كليومينيس بجلود الحيوانات ثم يعلق:

"Προσέταξετο μέν σώμα τού Κλεομένους κρεμάσαι καταβυρσώσαντας,"

وأن يقتل أولاده جميعهم وكذلك أمه ومن كن معها من النساء.[٦٠]

- ويقول هاداس Moses Hadas في هذا الصدد إن الكتابة التاريخية في العصر الهللينستي لم تكن بمنأى عن الاسترسال في إثارة المشاعر أو النزعة إلى الحكم على الأشياء بطريقة تغلب عليها العاطفة Emotionalism وهي السمة أو الشائبة التي تميز بها مؤرخو العصر الهللينستي بوجه خاص. فإلى جانب تكلفهم من حيث الأسلوب، كانوا يتعمدون في معالجتهم للأحداث التأثير على عاطفة من يطالعون أعمالهم.[٦١] كما يتفق كل من ولبانك Walbank وهاداس Moses Hadas على أن أشهر من اتبع تلك الطريقة في الكتابة التاريخية هو المؤرخ دوريس Duris (٣٤٠- ٢٦٠ ق.م) واتبعه في ذلك فيلارخوس[٦٢]. ويرى أيضاً البرخت ديلي Albrecht Dihle أن كلا من دوريس وفيلارخوس يمثلان أساس

---

(٥٩) بطلميوس الثالث (يورجيتيش). وعن تحول موقفه عن تأييد كليومينيس.
أنظر: إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج١ ص ص ١٤٠-١٤١.

(٦٠) Cf. Plutarch, Agis and Cleomenes, XXXVIII 2-3

(٦١) Cf. Moses Hadas, Hellenistic culture, p. 120.

(٦٢) Cf. Ibid. p. 120, and Walbank, F.W., The Hellenistic world, p. 18.

الكتابة التاريخية التراجيدية، وهي تحقق ما تحققه التراجيديا من تأثيرات نفسية وتعليمية(٦٣).

- كان فيلارخوس مغرماً كذلك بسرد النوادر الطريفة. وهو يتحدث في إحداها عن ما يمكن أن تتحلى به بعض الحيوانات من مشاعر وأحاسيس جياشة حيث يروي ذلك قائلاً:

"كانت هناك أنثى فيل ἐλέφας ἡ تدعى نيكايا Nikaia عهدت إليها زوجة ملك الهند قبيل موتها برعاية طفلها الرضيع الذي بلغ شهراً واحداً:

"ὡ τελευτώσα ἡ τού τρέφοντος Ινδού γυνή παιδίον αύτής τριακοσταίον παρακατέθετο"

وقد بلغت عاطفة Φιλοστοργία ἡ أنثى الفيل نحو الطفل حداً يثير الدهشة فلم تكن تحتمل أن يبعد الطفل عن ناظريها. وحينما لا تستطيع رؤيته تشعر بالحزن العميق:

"Τό δέ εί μή βλέποι τό παιδίον ήσχαλλεν"

لذلك كانت حاضنة الطفل -حينما تناوله اللبن ليشربه- تعمد إلى وضع أرجوحته بين قدمي أنثى الفيل، وإلا امتنعت الأخيرة عن تناول طعامها:

"ότ' ούν ἡ τροφός έμπλήσειεν αύτό γάλακτος, άνά μέσον τών ποδών τού θηρίου, έτίθει αύτό έν σκάφη. έι δέ μή τούτο πεποιήκοι, τροφήν ούκ έλάμβανεν ἡ έλέφας."

وحين كان الطفل يستسلم للنوم كانت أنثى الفيل تهش عنه الذباب بحزمة من العشب:

"....τούς καλάμους λαμβάνων έκ τών παρατιθεμένων χορτασμάτων καθεύδοντος τού βρέφους τάς μυίας άπεσόβει"

أما حينما ينخرط في البكاء فكانت تحرك أرجوحته بخرطومها حتى تهدهده فيكف عن البكاء:

"ότε δέ κλαίοι, τή προβοσκίδι τήν σκάφην έκίνει καί κατεκοίμιζεν αύτό. Τό δ' αύτό έποίει καί ό άρρην έλέφας πολλάκις"

كما كان الفيل الذكر يقوم بالشيء ذاته." (٦٤)

---

(٦٣) Cf. Albrecht Dihle, A History of Greek literature, p. 290.

(٦٤) Cf. Athenaeus, Deipnosophistae, XIII. 606 F- 607 A.

- وقد وردت تلك الأقصوصة بعينها عند أيليانوس Aelian (١٧٠- ٢٣٥م) وبشكل أكثر طرافة إذ قال مشيراً إلى ما تتمتع به الفيلة من ذكاء حسبما رأى:

"سأتحدث الآن عما تحظى به هذه الحيوانات من ذاكرة قوية μνήμην ἀγαθόν وكيف أنها تدرك ما يوجه إليها من أوامر ἐντολάς Φυλάξαι، ولا تخيب آمال من يعتمدون عليها. فعندما حاصر أنتيجونوس جوناتاس ميجارا كانت هناك أنثى فيل بجانب ما كان من الأفيال (الذكور) المشاركين في الحرب:

"ἑνί τών ἐλεφάντων τών πολεμικών συνετρέφετο καί θήλυς,"

- ثم يستكمل الرواية مطابقاً لما رواه فيلارخوس عن هذه الفيلة.(٦٥)
- ومن الطريف قول أيليانوس إن تلك المربية الهندية زوجه الحارس كانت تتكلم الهندية التي تستوعبها الفيلة:

.....Παρακατέθετο Φωνή τή Ἰνδών, ής ἀκουσιν ἐλέφαντες(٦٦)

- أشار أريانوس Arrian كذلك بدوره إلى ذكاء الفيلة قائلاً في مؤلفه Indica:
- إذا كان هناك حيوان يتميز بالذكاء فإنه الفيل:

"θυμόσοφον γάρ είπερ τι ἄλλο θηρίον ὁ ἐλέφας"(٦٧)

- ويبدو أن تلك القصة قد شاعت في تلك الآونة التي كتب فيها فيلارخوس تاريخه نتيجة لفتوحات الإسكندر ومعرفة بلاد الهند عن قرب، ثم تواترت هذه الروايات وانتقلت بفعل انتشار الثقافات عبر العصور المختلفة. ولاشك أن طرائف الحيوان تحتاج للمزيد من البحث خاصة عندما تستقي مادتها من المصادر التي اهتمت بهذا الموضوع وهو ما لا تتسع له صفحات هذا البحث وسوف نحاول معالجته في دراسات لاحقة.
- ومن بين مؤرخي العصر أيضاً "هيكايتوس" الأبديري" الذي كان صديقاً للملك بطلميوس الأول. سوتير- ورافقه في حملته على سوريا. وقد ازدهر حوالي عام ٣٠٠ ق.م. ذكر ديودور الصقلي إنه زار مصر في زمن

---

(٦٥) Cf. Aelian, On Animals, XI. 14.

(٦٦) Cf. Ibid., XI. 14.

(٦٧) Cf. Arrian, Indica, 14.4.

بطلميوس بن لاجوس[٦٨]. كما أكد معجم سويداس أنه عاش في زمن خلفاء الإسكندر الأكبر οί Διαδοχοι[٦٩]

- يروي ديودور الصقلي- نقلاً عن هيكايتوس الأبديري وصفه وكذلك دهشته وإعجابه من طريقة بناء وروعة معبد الرمسيوم لرمسيس الثاني، وكذلك وصفه لتمثال هذا الملك الذي تبلغ طول قدمه وحدها أكثر من سبعة أذرع έπτα πήχεις. وكذلك انبهاره بمدى الإبداع الفني ولدقة الصنعة ولطبيعة الحجر الذي شكل منه. إذ يقول:

"على الرغم من أنه شكل من كتله حجرية بهذا الحجم الكبير، فلا تجد فيه تصدعاً واحداً أو أية شائبة أخرى":

"ώς άν έν τηλικούτω μεγέθει μήτε διαφυάδος μήτε κηλίδος μηδεμίας θεωρουμένης"[٧٠]

- كذلك وصفه لقاعة مسقوفة ذات أعمدة وضعت بداخلها تماثيل خشبية متنوعة تمثل أشخاصاً شاخصة أبصارهم نحو القضاة الذين يقومون بالفصل في الدعاوي القضائية:

"έν τούτω δ'είναι πλήθος άνδρίαντων ξυλίνων, διασημαίνον τούς άμφισβητήσεις έχοντας καί προσβλέποντας τοίς τάς δίκας κρίνουσι"

- وقد صور هؤلاء القضاة على الجدار بطريقة النحت البارز وعلى شكل أجسادٍ دون أياد وعلقت العدالة في وسطهم من عنقها مغمضة العينين:

"έχοντα τήν Άλήθειαν έξηρτημένην έκ τού τραχήλου καί τούς όφθαλμούς έπιμύοντα"

ومدلول ذلك هو: إن على القضاة ألا يتقبلوا العطايا (الرشاوي) وكذلك يجب ألا ترى عيون العدالة سوى الحقيقة:

---

(٦٨) Cf. Diod. Sic. I. 46.8.

(٦٩) هذا اللفظ Diadochi كان يطلق على أكثر خلفاء الإسكندر الأكبر أهمية، الذين اشتركوا في تقسيم إمبراطوريته مثل أنتيجونوس الأول، وكاسندر، ولوسيماخوس وبطلميوس الأول وسليوقوس الأول.

Cf.O.C.D.S.V., Diadochi, p. 271.

Cf. Also Fraser, P.M., Ptalemaic Alex., Vol., I. pp. 496- 497.

(٧٠) Cf. Diod. Sic. 1.47, 4.

"ταύτας δέ τάς εἰκόνας ἐνδεί κνυσθαι δίά του σχήματος ὁτι τούς μέν δικαστας οὐδέν δεί λαμβάνειν, τόν ἀρχιδικαστήν δέ πρός μόνην βλέπειν τήν ἀλήθειαν" (٧١)

- كذلك نطالع أقصوصة- نقلاً عن هيكايتوس تبين مدى قدسية الكثير من الحيوانات عند المصريين القدماء خاصة العجل أبيس وفحواها أنه ذات مرة، وبعد موت الإسكندر الأكبر عندما تولى بطلميوس بن لاجوس حكم مصر حدث أن مات أبيس (العجل) بفعل الشيخوخة في ممفيس:

"ἔτυχεν ἐν Μέμφει τελευτησας ὁ Ἄπις γήρα"

ولإتمام عملية الدفن انفق الرجل الذي كان مكلفاً برعايته ما كان مخصصاً لإعالته وزاد على ذلك بأنه اقترض خمسين تالنتا من الفضة من بطلميوس لهذا الغرض ذاته(٧٢).

- ونختتم حديثنا مما أورده هيكايتوس بعرضه لما يجب أن يتبعه الحكام كنظام لحياتهم اليومية حيث قال:
- "يتعين على الحاكم أن ينجز ما يطلب منه في وقت محدد من ساعات اليوم وليس طبقاً لما يحدده هو. فعندما يستيقظ من النوم يجب أن يدير شئون مملكته على وجه السرعة، ويكون على علم تام بكل ما يحدث حوله. وبعد أن يغتسل ويرتدي ملابسه يقدم الأضاحي للآلهة. ويجب أن يكون هناك وقت للطعام وكذلك للنوم وآخر للالتقاء بزوجته. كما يجب تحديد كميات الطعام والشراب(٧٣).
- يعلق فريزر" على هذا فيقول: إن هذه القيود على تصرفات الحكام المصريين القدماء لم نجد لها شاهداً أو برهاناً عند علماء المصريات. فالآثار وكذلك السجلات لم تورد لنا شيئاً من هذا(٧٤)، كما اعتبر أن هيكايتوس الأبديري في حديثه هذا إنما يتطلع إلى ما يجب أن يكون، إذ أن كتاباته في هذا الشأن ذات طابع يوتوبي Utopian writing(٧٥). كما يصف "رايت"

---

(٧١) Cf. Diod. Sic. 1.48.5-6.

(٧٢) Cf. Diod. Sic. 1. 84.8.
Cf. Also Fraser, P.M., Ptolemaic Alex., vol. 1.p. 496; Vol. II. P. 719 note 6.

(٧٣) Cf. Cf. Diod. Sic. 1.70.3-4, 10-12.

(٧٤) Cf. Fraser, P.M., Ptolemaic Alex., Vol., IP. 501.

(٧٥) Cf. Ibid. Vol., II.p. 721 nate 8.

عمل هيكايتوس الأبديري الخاص بالمصريين على أنه Historical fantasia[٧٦]

ونختتم دراستنا لهذا الموضوع بالحديث عن "بوسيدونيوس" Posidonius (١٣٥- ٥١ق.م) الذي واصل تاريخ "بوليبيوس" فكتب تاريخاً مليئاً بالتفاصيل، واتسم أسلوبه بقدرة هائلة على التصوير، لكنه ظهر بمظهر المؤرخ السطحي، وقد حكى عدة عجائب وغرائب[٧٧].

ولنعرض الآن بعضاً من الأمثلة التي أوردها استرابون" نقلاً عن "بوسيدوينوس".

ذكر بوسيدوينوس أن يودوكسوس Εύδοξος جاء إلى مصر في فترة حكم يورجيتيس الثاني τόν δεύτερον Εύεργέτην (بطلميوس الثامن) وأصبح مقرباً إلى الملك. وقد حدث أن أحضر المسؤولون عن حراسة الأماكن الأكثر عمقاً في الخليج العربي[٧٨] بحاراً هنديا إلى الملك وقالوا إنهم وجدوه مشرفاً على الهلاك وكان بمفرده داخل سفينة كبيرة جانحة ولكنهم لم يعرفوا من هو أو من أين أتى، لأنهم لم يستطيعوا فهم لغته:

"τυχείν δή τινα Ίνδόν κομισθέντα ώς τόν βασιλέα ύπό τών φυλάκων τού Άραβίου μυχού, λεγόντων εύρείν ήμιθανή καταχθέντα μόνον έν νηί, τίς δ' είη καί πόθεν, μή συνιέντας τήν δίαλεκτον"

ويستمر سترابون قائلاً: وقد كلف الملك من يعلمونه اللغة اليونانية:

τόν δέ παραδούναι τοίς διδάξουσιν έλληνίζειν.

وعندما تعلم الهندي اليونانية روي ما حدث له قائلاً: إنه وأثناء رحلته من الهند περιπέσοι πλάνη تصادف أن ضل الطريق έκ τής Ίνδικής ووصل سالماً إلى هنا (إلى مصر) بعد أن فقد كل رفاقه الذين ماتوا جوعاً τούς σύμπλους άπογαλών λιμώ (ممن يستمعون إليها) وعد بأن يعمل مرشداً لمن يختارهم الملك لإرسالهم في بعثة إلى الهند، وكان يودوكسوس من هؤلاء. هكذا فإن يودوكسوس أبحر محملاً بالهدايا. ثم عاد محملاً بالعطور والأحجار الكريمة άρώματα καί λίθους

---

(٧٦) Cf. Wright, F.A., A History of Later Greek literature, p. 58.

(٧٧) Cf. Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, p. 253.

(٧٨) يقصد به هنا خليج السويس كما ذكر تارن:
Cf. Tarn, W.W., Hell Civiliz., p. 217.

πολυτελεις ولكن يودوكسوس "خُدع وخيبت آماله إذ استولى يـورجيتيس[٧٩] على كل ما أحضره من بعثته.

" δια ψευσθήναι δέ τών έλπίδων άφελέσθαι γάρ αύτόν άπαντα τόν φορον τόν Εύεργέτην"

وبعد موت يورجيتيس خلفته في الحكم زوجتـه كليوبـاترا وأرسـلت يودوكسوس ثانية إلى بلاد الهند وكان مزوداً هـذه المـرة بتجهيـزات وافـرة μετά μείζονος παρασκευής....[٨٠]

- ولكن سترابون يعبر عن عدم تصديقه لتلك القصة التي أوردها بوسيدونيوس طارحاً عدة استفسارات فيها الكثير من عدم الثقة فيما قيل في هذا الصـدد وهي:-

- أولاً: ما مصداقية ما قاله الهندي في أن ما حدث له كان بمحض الصدفة؟

"τίς γάρ ή πιθανότης πρώτον μέν τής κατά τόν Ίνδόν περιπετείας";

إذن يستبعد سترابون أن يكون البحار الهندي قد جنح في الخليج العربي دون أن يدري قائلاً:

- "إن الخليج العربي (ممر) ضيق كالنهر ويبلغ طوله حـوالي خمسـة آلاف ستاديوم [٨١] ومصبه ضيق بدوره أيضاً:

"ό γάρ Αράβιος κόλπος ποταμού δίκην στενός έστι καί μακρός πεντακισχιλίους έπί τοίς μυρίοις που σταδίους μέχρι τού στόματος, καί τούτου στενού παντάπασιν όντος"

لذلك فمن غير المعقول أن من ركب البحر من الهنود خارج هذا الخليج يجنح بداخله عن طريق الخطأ أو يصادف تقلباً للرياح.

ثانياً: كيف للجميع أن يهلكوا جوعاً دون هذا البحار؟

"λιμώ τε πώς περιείδον άπαντας άπολλυμένους σφάς πλήν ένός"

---

(٧٩) عن مسلك يورجيتيس الثاني في شيخوخته انظر: إبراهيم نصحي- مرجـع سـابق ج١ ص ٢٤٦.

(٨٠) Cf. Strabo, Geogr.2.3.4.

(٨١) الاستديوم: Stadium (GK) p..- dia

(I) وحدة إغريقية قديمة من وحدات الطول (تتراوح بين ٦٠٧ و ٧٣٨ قدماً إنجليزيا).

(II) وحدة رومانية قديمة للطول تساوي ٦٠٦و٥٩ قدماً إنجليزيا. انظر المورد ص ٨٩٧.

وإذا حدث وأن ظل على قيد الحياة كيف يستطيع أن يقود السفينة بمفرده؟ وهي سفينة ليست بالصغيرة τό πλοίον ού μικόν όν فهي تبحر في أعالي البحار وبمثل هذه المسافات الطويلة.

ثالثاً: كيف له أن يلم باللغة اليونانية بتلك السرعة والتي مكنته من أن يقنع الملك بقدرته على أن يكون مرشداً للبعثة (إلى الهند)؟.

"τίς δ'ή όξυμάθεια τής διαλέκτου, άφ ής ίκανός ήν πείσαι τόν βασιλέα, ώς δυνάμενος τού πλού καθηγήσασθαι"

وهل يورجيتيس يشكو من ندرة المرشدين الأكفاء، والبحر في تلك المنطقة معروف للجميع:

.... ήδη γνωριζομένης ύπό πολλών τής ταύτη θαλάττης;

وفي النهاية يعقب سترابون على هذا قائلاً: إن مثل هذه الروايات ما كان لها أن تأتي من شخص كبوسيدونيوس فهو الفيلسوف والمدرك لما يقوله بالبراهين وله منا خير تقدير:

"τώ δ' άποδεικτικώ καί φιλοσόφω, σχεδόν δέ τι καί περί πρωτείων άγωνιζομένω, τίς άν συγγνοίη; ταύτα μέν ούν ούκ εύ"

حدثنا "سترابون" عن وجود عادة بربرية وغريبة لازمت معظم القبائل الشمالية خاصة الغاليين وذكر أنه عرف مثلها فيما كتب بوسيدوينوس. إذ قال (سترابون):

"إن لدى الغاليين عادات بربرية غريبة، فهم حين يغادرون أرض المعركة يعلقون رؤوس أعدائهم فوق رقاب خيولهم، وعندما يعودون إلى ديارهم يثبتونها بمسامير في مداخل تلك الديار:

"τό άπό τής μάχης άπίοντας τάς κεφαλάς τών πολεμιών έξάπτειν έκ τών αύχένων τών ϊππων, κομίσαντας δέ προσπατταλεύειν τήν θέαν τοίς προπυλαίοις"

ويؤكد استرابون أن بوسيدوينوس قد شاهد مثل هذا من قبل فقال:

"على أية حال ذكر بوسيدوينوس أنه شاهد هذا المنظر في أماكن كثيرة، وعلى الرغم من اشمئزازه في البداية، إلا أنه اعتاد بعد ذلك على مثل هذه الأمور فتقبلها بهدوء:

"φησί γούν Ποσειδώνιος αύτός ίδείν ταύτην πολλαχού καί τό μέν πρώτον άηδίζεσθαι, μετά δέ ταύτα φέρειν πράως διά τήν συνήθειαν"(٨٢)

(٨٢) Cf. Strabo, Geog. 2.3.5.

ثم يسهب سترابون في الحديث عن الغاليين في هذا الصدد أيضاً فيقول: "إنهم يعطرون رؤوس عليه القوم من أعدائهم بزيت خشب الأرز ويقومون بعرضها ليراها الغرباء. ولا يستطيع ذويهم أن يستردونها ولو بفدية تساوي وزنها ذهباً". ويعلق قائلاً:

"إن الرومان وضعوا حداً لمثل هذه العادات ولكل ما يتعارض مع أعرافنا".(٨٣) ولا غرابة في أن يظهر كل من بوسيدوينوس وسترابون عدم اتفاقهم مع الغاليين بل إعجابهم بالرومان. ويرى تارن أن "استرابون" لم يكن جغرافياً فحسب بل كان ناقداً متعقلاً Sane Critic(٨٤)

- يروي بوسيدوينوس أيضاً عن غرائب بعض نساء السمنيين انه كانت هناك جزيرة صغيرة تسكنها تلك النسوة وكان محرم على الرجال النزول إليها. وكانت هؤلاء النسوة تتعبد للإله "ديونيسوس"، كما كان من عاداتهم أن يقمن بإزالة سقف معبدة مرة كل عام وإعادة بنائه ثانية في نفس اليوم وقبل شروق الشمس. وكان على كل منهن أن تحمل ما تستطيع (من القش) للمشاركة في البناء، ومن يقع منها حملها تمزقها بقية النسوة إرباً إرباً ويحملن أشلاءها ويطفن بها حول المعبد مرددين صيحات من أجل ديونيسوس ويبقين على تلك الحال حتى يذهب عنهن هذا الجنون (المؤقت)(٨٥).
- ومن غرائب ما رواه عن الظواهر الطبيعية أنه شاهد في ليبارا Lipara البحر وقد ارتفع إلى علو هائل بعد ثوران، وطفي طين متوهج فوق سطحه فأهلك ما به من أسماك، كما سبب عدم اعتدال لمن كانوا قريبين منه بسبب رائحة السمك العفنة وهذه هي الرواية كما جاءت عند بوسيدوينوس:
- "ذات صباح وفي وقت الانقلاب الشتوي ارتفعت مياه البحر إلى درجة عالية وبفعل ثوران قوي ظل ينفث دخاناً لوقت طويل وبعد ذلك خمد واستقر. ومن أبحروا فيه بعد ذلك تكبدوا العناء ورأوا الأسماك وقد ماتت وجرفها التيار، والبعض من هؤلاء أصابه المرض فجأة بسبب الحرارة وكذلك الرائحة العفنة المنبعثة من هذا السمك، لذلك لاذوا بالفرار. وقد فقد أحد القوارب بعضاً من شاغلية والبعض الآخر بلغ "ليبارا" بشق الأنفس. كما فقد البعض منهم وعيه وبعد حين عادوا إلى صوابهم".(٨٦) يبدو أن بوسيدوينوس

---

(٨٣) Cf. Strabo, Ibid.4.4.5.

(٨٤) Cf. Tarn, W.W., Hell. Cinilz., p. 257.

(٨٥) Cf. Strabo, Geog., 4.4.6.

(٨٦) Cf. Ibid.6.2.11.

كان يتحدث عن بركان حدث في أعماق هذا البحر وتحتاج مثل هذه الظواهر الطبيعية إلى دراسات أعمق وهو ما يخرج عن نطاق موضوعنا.

- ومن طرائف "بوسيدوينوس" تلك الرواية التي تبين أن المرأة عند قبائل الشمال أكثر صبراً وجلداً من الرجال. روي "بوسيدوينوس" أن أحد أصدقائه استأجر في ليجوريا[٨٧] Λιγυστική رجالاً ونساءً للقيام بأعمال حفر (لحرث الأرض).

"ότι μισθώσατο άνδρας όμού καί γυναίκας έπί σκαφητόν"

وعندما فاجأت إحدى النسوة آلام المخاض تنحت عن العمل جانباً وذهبت إلى مكان غير بعيد. وبعد أن أتمت عملية التوليد (بذاتها) عادت ثانية لعملها في الحال كي لا تحرم من أجرها:

"ώδίνασα δέ μία τών γυναικών άπέλθοι άπό τού έργου πλησίον, τεκούσα δ' έπανέλθοι έπί τούργον αύτίκα, όπως μή άπολέσειε τόν μισθόν"

وقد لاحظ (صاحب العمل) ما كانت تعانيه تلك المرأة من آلام وهي مستمرة في عملها ولم تعبأ بذلك حتى وقت متأخر من النهار فجعلها تنصرف بعد أن أعطاها أجرها. فحملت طفلها إلى أحد الينابيع ونظفته بالماء ثم قمطته بما تيسر لها (من قماط)وعادت به سالماً إلى المنزل:

....λούσασα καί σπαργανώσασα οίς είχε διασώσειεν οίκαδε[٨٨]

ونختم حديثنا عن بوسيدوينوس بعرض أقصوصة ضمنها في كتاباته التاريخية وأوردها أثينايوس" في مؤلفه مأدبة الحكماء Deipnosophistae في خمس فقرات مطولة مما يعطي المجال لفهم واستيعاب طريقة بوسيدونيوس في عرض أفكاره والتي اتسمت بانتقاء الكلمات المعبرة عما يريد الحديث عنه وكذلك طريقته التهكمية في نقد المواقف التاريخية التي يرى أن بها بعض الخداع من جانب شخص يدعى ما لا يوجد في الحقيقة أو لتقديم التقدير والاحترام إلى من لا يستحقه.

---

(٨٧) تقع ليجوريا Liguriaعلى الساحل الشمالي الغربي لإيطاليا.
Cf.O.C.D. S.V., Ligurians, p. 505.

(٨٨) Cf. Strabo, Geogs. 3.4.17.
-تذكرنا هذه الأقصوصة بما يشاع بأن بعض النساء في الريف المصري يضعن حملهن وهن يعملن في الحقل إذا ما فاجأتهم آلام المخاض وهذا دليل على مدى صبرهن وتحملهن الصعاب.

وفحوى هذه الأقصوصة أنه كان هناك شاب أثيني مغامر يدعى "أثينيون" ὁ Αθηνίος وقد نشأ رقيق الحال يرتدي الملابس البالية. وكان يعاني من فقر مدقع. وبعد ما تعلم على يد الفلاسفة عمل بالتدريس فتغير حاله إلى الأفضل. وتدريجيا استطاع التقرب إلى الحكام الأثينيين في ذلك الوقت (حوالي ٨٧- ٨٦ ق.م) فصار مبعوثا من قبلهم لدى ميثربداتيس ملك بونتوس Μιθριδάτης.

- وقد كانت الحرب مستعرة بينه وبين الرومان في تلك الأثناء وذلك لكسب ود هذا الحاكم ضد روما خاصة وأنه في عام ٨٨ ق.م. قهر ميثريدتيس جيش روما في آسيا الصغرى واستولى على ولاية آسيا الرومانية[٨٩]. أوهم هذا الشاب Athenion الآثينيين بأنه بمساعدة ميثريدتيس يمكن التغلب على روما التي كانت تزحف على المدن اليونانية الواحدة تلو الأخرى. ولكن بطبيعة الحال كانت الغلبة في النهاية لروما.

ويصف بوسيدوينوس عودة هذا الشاب إلى أثينا وكأنه حقق ما كان يهدف إليه مع أنه عاد بخفي حنين- نقول أنه وصف تلك العودة بطريقة تهكمية رائعة إن دلت على شيء إنما تدل على براعة من جانب بوسيدينوس لاستعمال الألفاظ المناسبة. فقد خرج الأثينيون لاستقباله بالسفن الحربية الكبيرة ذات الأشرعة والمجاديف.

"έπί τήν άνακομιδήν αύτού ναύς μακράς"

φορείον άργυρόπουν كما حمل إلى منزله بمركبة مصنوعة من الفضة

هذا المغامر الذي كان يسير في أثمال بالية. إنه يقترب الآن. وقد خرج أكثر من نصف سكان أثينا لاستقباله والترحيب به، وتدفق البعض منهم ليشاركوا في الترحاب في حين وقف البعض الآخر يتعجب من تقلبات الزمن التي جعلت من هذا الرجل يجلس فوق عربة أرجلها من ذهب وبساط أرجواني، هذا الذي لم ير اللون الأرجواني ولو مرة في حياته.

وهو يلوم الآثينيين على هذا ولا يلقبهم بالآثينيين ولكن يطلق عليم لفظ οί κεκροπίδαι[٩٠] أي أنهم حفدة ثيسيوس البطل القومي للآثينيين فلا يليق بهم أن يفعلوا هذا. كما يختتم قائلاً: إنه لم ير من روماني ينظر بعين الازدراء لمثل

---

(٨٩) انظر: إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ط١ ص ص ٢٥٨- ٢٦٠.

(٩٠) Cecrops- Opis, m (κέκροψ), the mythical first king of Athens.
Cecropia, ae, the citadel of Athens.
Cecropides- ae (m): a male descendant of Cecrops, e.g. Theseus. Plur. The Athenians.
Cf. Cassell's Latin English, English Latin Dictionary, p. 96.

هذا الاسترسال في الاحتفال والذي اتسم بالبذخ والمغالاة". ومع ذلك في النهاية كان النصر للرومان".(٩١)

مما تقدم نستطيع أن نقول إن مؤرخي العصر الهللينستي لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما سبقهم من تراث رغم سمو هذا التراث وعظمته وأصالته، ولكنهم حاولوا أن يجددوا وإن أدى ذلك إلى اتخاذهم دروباً تبدو أكثر سطحية من سابقيهم.

ويمكننا أن نعتبر هذا المسلك نوع من أنواع التجديد المحمود. فولعهم بوصف العادات الغريبة وغير المألوفة وكذلك اهتمامهم بموضوعات قد تبدو للبعض بأنها سطحية في مجال الكتابة التاريخية، إلا أنها تفتح مجالات عديدة للبحث والتأمل.

فعلى سبيل المثال المعالجة التراجيدية للأحداث التاريخية عند بعضهم ووصف بعض الظواهر العلمية الجغرافية وكذلك الكتابة عن الحيوانات وطبيعتها كل هذا يفتح مجالات للبحث في مثل هذه الأمور بطريقة دقيقة والخروج بنظريات قد تفيد الحركة النقدية وكذلك العلمية.

إن تناول مؤرخو العصر السكندري لبعض الأقاصيص والنوادر من خلال سردهم التاريخي لم يكن مجرد استطرادات لكنها كانت ذات صلة بما كان يعالجه هؤلاء المؤرخون من موضوعات، وهي ليست بسير شخصيته بل تاريخ دونت فيه الأحداث في ميادين المعارك وفي القصور وفي غيرها من مسارح الأحداث. وقد يكون دافعهم لهذا مسايرة نمو الفن الروائي في ذلك العصر أو رغبة في تعويضه جفاف الموضوعات المعالجة وكذلك فقرها.

لقد وجهت بحثي إلى نقطة قد يعتبرها البعض من الأمور التي قد لا تستحق الاهتمام في مجال الكتابة التاريخية- بل قد يتركها البعض الآخر في خلال تصفحه صفحات التاريخ خوفاً من أن تقطع تسلسل الأحداث التاريخية التي يريد فهمها واستيعابها- ولكن لدراسة هذه النقطة أهمية فنستطيع بذلك أن نحكم على هذا الكاتب أو ذاك حتى من خلال ما تبقى من أعماله من شذرات قليلة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن كتاب السير في العصر الإمبراطوري من أمثال بلوتارخوس (١٠٠م) وأريانوس وأيليانوس قد استقوا العديد من مصادر أعمالهم من مؤرخي العصر الهللينستي وكذلك وجدنا هذا التأثر عند "بروكوبيوس" الذي يعتبر من أبرز المؤرخين البيزنطيين الذين أرخو للإمبراطورية البيزنطية في فترات مختلفة ممن شاهدوا الأحداث فكانوا شهود عيان عليها مثله في ذلك مثل بعض مؤرخي العصر الهللينستي.

---

(٩١) Cf. Athenaeus, Deipnos., V. 211-215.

– ولم يكن هدفنا أن نثني على هذا المؤرخ أو ذاك، ولكن عرضنا آراء النقاد سواء منهم القدماء أو المحدثين. ولم نظلم مقارنة بمن سبقوه، كذلك لم نمتدحه فنتناسي أوجه العجز أو القصور ولم نبغ من وراء ذلك كله إلا السعي وراء الحقيقة.

المراجع

- أولاً: المصادر الأدبية

- Aelian, On the nature of Animals (L.C.L.)
- Aristotle, Poetics. (L.C.L.)
- Arrian,Indica. (L.C.L.)
- Athenaeus, Deipnosophistae. (L.C.L.)
- Diodorus Siculus (L.C.L.)
- Herodotus, II. Ed Waddell, W.G, London, 1939.
- Longinus, On the Sublime (L.C.L.)
- Pausanias, Description of Greece. (L.C.L.)
- Plutarch, The Parallel lives. (L.C.L.)
- Polybius, Histories. (L.C.L.)
- Strabo, Geography. (L.C.L.)

- ثانياً: المراجع الأجنبية والعربية:

- Albrecht Dihle, A History of Greek literature, London and New York, 1994.
- Arnaldo Momigliano, Aien wisdom, Cambridge, 1991.
- Fraser, P.M., Ptolemaic Alexandria, vols.1, II,III, Oxford 1972.
- Moses Hadas, Hellenistic Culture, Columbia, 1972.
- Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, London 1941.
- Walbank, F.W., The Hellenistic world, London, 1981.

- إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة ج١ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨٤ الطبعة السادسة.

- الفريد لوكاس: المواد والصناعات عند قدماء المصريين (مترجم) مكتبة مدبولي– القاهرة ١٩٩١ الطبعة الأولى.